

## المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية

### دور الفاعلين في ديناميكية الإصلاحات

نظرا لتنوع الإصلاحات والفاعلين وتوسع الإشكالية، أود تغيير صياغة تدخلي والتفكير في دينامية الإصلاحات بالمغرب وفي الآليات التي تضمن نجاحها وكذا العراقيل التي تبطئ فعاليتها.

### لما الإصلاحات؟

عرفت الاقتصادات العالمية توترات هامة، مع خلفية تقدم تكنولوجيا كبير، وخاصة مع التحول الجذري لوسائل التواصل والنقل. أما على الواجهة، هناك هيمنة المليات وتعدت تسيير الاقتصادات الكبرى ووفرة إنتاج السلع والخدمات وظهور اقتصادات جديدة.

إن أي اقتصاد لا يميل إلى الانفتاح والاندماج في الحقل المعولم للأمم ولا يستنزف حصته من تدفق الاستثمارات، مآله الانهيار.

لقد استهل إعلان برشلونة عملية بناء منطقة الازدهار والفضاء المشترك للسلام والاستقرار على ضفتي المتوسط. هذا وقد خلقت الشراكة الأورو متوسطة الشاملة إطارا متعدد الأطراف يجمع المعالم الاقتصادية ومعالم الأمن كما يشمل بعدا اجتماعيا وإنسانيا وثقافيا. وتتوقع السيرورة حدوث زيادة كبيرة في الدعم المالي الذي سيحفز التنمية الداخلية والمستدامة وتعبئة الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين، كما قد أدت هذه الشراكة إلى توقيع اتفاقات التبادل الحر، ومؤخرا إلى الوضع المتقدم الذي يستلزم التنسيق في ما بين جميع مؤسساتنا وترسانتنا القانونية.

### من هم الفاعلون؟

الفاعل الرئيسي هو المواطن المغربي الذي يجب أن يستفيد من نتائج الإصلاحات أو يتحمل مساوئها، فهو لا يمكن أن يكون فاعلا سلبيا في هذا المسلسل. مبدئيا، إذا انضم الشعب إلى السيرورة فيجب أن يعبر عن ذلك بواسطة التصويت. وعلى العكس، إذا اعتقد أن عقوباته من خلال صناديق الاقتراع المبتورة أو غير الفعالة، فهو يميل إلى التعبير تلقائيا خارج البنيات السياسية التقليدية.

تعتبر المؤسسة الملكية الفاعل الرئيسي الآخر، فجلالة الملك يستهل الإصلاحات ويضع بنيات التنفيذ والمتابعة.

ومن المؤكد أن الفاعلين الاقتصاديين والنقابات والمجتمع المدني ووسائل الإعلام... لها أيضا دورها.

كما يحظى الفاعلون الخارجيون بالأهمية، فهم يشاركون في بناء منطقة الاستقرار وينظمون مساعدتهم المالية حسب توجيه الإصلاحات.

### ما هي الإصلاحات الواجب إنجازها؟

وضع المغرب العديد من بطاريات الإصلاحات. حيث تهدف بطارية الإصلاحات الأولى إلى إدماج الفرد وتخفيف إحساسه بالإقصاء وتحسين علاقته بحكومته:

إنه المفهوم الجديد للسلطة الذي يعيد تنظيم العلاقة بين المواطن والسلطة والذي أعلن عنه صاحب الجلالة عند اعتلائه العرش.

منحت مدونة الأسرة للمرأة مكانة أكثر حظوة داخل المجتمع.

نددت هيئة الإنصاف والمصالحة بانتهاكات حقوق الإنسان وأعدت تأهيل من يعتقد خلاف ذلك.

تطمح المبادرة الوطنية للتنمية البشرية إلى إدماج المعوزين وتخفيف معاناتهم.

تتعلق بطارية الإصلاحات الثانية بهياكل السلطة وطريقة اشتغالها، كما تشمل الإصلاحات الاقتصادية وقانون الصحافة والإصلاح القضائي والإصلاح البرلماني والسياسي ومشروع الهوية.

## كيف يتم إنجاز الإصلاحات؟

تتوفر الإصلاحات السياسية على حظوظ ضعيفة للنجاح في بيئة اقتصادية غير ملائمة. إلا أن العديد من البلدان المشابهة للمغرب منحت الأولوية للإصلاحات الاقتصادية وبذلك أغلقت تماما الحقل السياسي (مصر وتونس).

كانت للمغرب مقاربة مختلفة، إذ تم إنجاز إصلاحات سياسية واقتصادية في الوقت نفسه. والجدير بالذكر أن الإصلاحات السياسية تمنح حظا أوفر لنجاح الإصلاحات الاقتصادية، ومن جهة أخرى، يحسن نجاح هذه الأخيرة فعالية الإصلاحات السياسية.

لقد ساهم انفتاح المغرب وتجربة التناوب وانفتاحه على الإسلاميين وإبعاد الحركات التي تنفي القواعد الديمقراطية، في إعفائه من اضطرابات حقيقية ضمن السياق العربي الراهن، وتمكينه من ثورة هادئة.

لكن الإصلاحات الاقتصادية المنجزة لم تسفر عن نتائج ملموسة وما يزال البلد يعرف نسبا هامة من البطالة، كما لا يحسن جيدا مؤشر الفقر.

لم تسفر إصلاحات المؤسسات الأساسية التي تمنح للفرد وسائل المشاركة في بناء مستقبله عن أية نتائج نظرا لنقص الوسائل أو الحكامة السيئة؟ أعني التعليم والصحة والعدل والتكوين.

## الوضع الراهن

ستتغير سيرورة الإصلاح في التكوين الراهن المشتمل على وضع العالم العربي وريح الحرية التي عبرت عنه حركة 20 فبراير والخطاب الملكي في 9 مارس.

هذا وسترتفع سرعة الإصلاحات السياسية، حيث لن يتم إطلاقها من أعلى التسلسل الهرمي بل سيتم طلبها من القاعدة التي سترغب في لمس آثارها الفورية. وستكون المخاطر أكبر، فلم يسبق أن كان دور الفاعلين أكثر أهمية، كما سيكون نجاح سيرورتنا الجديدة مشروطا بما يلي:

- دينامية الأفكار التي يعبر عنها الفاعلون والقوة التركيبية للعضو المكلف بجمعها وتصنيفها.
- حس انضباط المغاربة عند التعبير عن مطالبهم وانخراطهم في التعبير عن طريق التصويت.
- الاستماع إلى المطالب وتوجيه الإصلاحات لصالح أكبر عدد ممكن.
- هيمنة القانون عن طريق تأسيس هيئة قضائية في خدمة الحريات والأمن، قادرة على الحماية والردع، والمعاقبة دون انتهاك والسجن في شروط كريمة.
- السهر على توزيع عادل للثروات.

من المؤكد أنه ستنتم مقاومة تنفيذ هذه الإصلاحات، خاصة من طرف أولئك الذين سيفقدون بعض الامتيازات الناتجة عن المحسوبية، وتجارة المطلعين على الأمور والفساد والإيجار.

يجب أن يظل المغرب يقظا تجاه هذه المقاومة وذلك بإبداء الحزم وتسريع الوتيرة، كما يجب عليه أن يتجرأ في إنجاز بعض الإصلاحات الخفية منذ عدة سنوات، خاصة تلك المتعلقة بصندوق التعويض الباهظ جدا وغير الفعال بالنسبة لمن هم في حاجة إليه، أو صندوق التقاعد لصالح أجيال المستقبل.

يحظى المغرب كذلك بفرصة منح العالم نموذج وذلك إذا أنجز إصلاحاته بشكل جيد ونجح فيها. كما يمكن أن يكون قاطرة البلدان العربية ويرسم طريق السلام والازدهار في المنطقة.

يمكن أن يجذب دور النموذج الذي من المرجح أن تلعبه تونس، للمغرب الدعم السياسي والمالي للقوات الغربية.

